الاقتصاد الصناعي في عهد الرسول صل الله عليه وسلم

Industrial economy in Prophet age

علي عشي*

جامعة باتنة1 (الجزائر)، maktoob72@gmail.com

تاريخ الاستلام:2020/01/13 تاريخ القبول:2020/09/07 تاريخ النشر:2020/09/15

الملخّص:

دعا الاسلام الى كسب المال بالجهد والعمل، وممارسة الصناعة واحتراف المهن، وتعامل النبي مع كل الموارد الاقتصادية باعتبارها نعما تستوجب شكر الله عزو جل، وكان قدوة عالية في تعامله مع الموارد البشرية والطبيعية وحتى الثروة المعدنية. حيث تبين لنا السيرة النبوية أن العمل أشرف وسائل الكسب.

وحث الرسول "صلى الله عليه وسلم" على العمل وعلى الاتقان فيه دلالة واضحة على فعالية هذا الاسلوب في القضاء على البطالة، والفقر وغرس مفهوم الانتاجية والاعتماد على النفس وتطوير الذات والوطن من خلال ممارسة مختلف المهن والصناعات.

استطاع النبي إرساء قاعدة صناعية كنواة لاقتصاد الدولة الاسلامية من خلال انشاء عدة صناعات كالنسيج والفخار والحدادة وغيرها.

كلمات مفتاحية: الصناعة، الحرف، العهد النبوي، الحدادة، النسيج.

Abstract:

Islam called for earning money by effort and work, also by practicing industry, and professionalism, and the Prophet dealt with all economic resources as a blessing that requires the thanks of Allah almighty. He was a role model in dealing with human and natural resources and even mineral wealth.

The Prophet urged, “Peace be upon him” to work and workmanship in which a clear indication of the effectiveness of this method in the elimination of the unemployment, poverty, and instill the concept of productivity, self-reliance, self-development and country through the practice of various professions and industries.

The Prophet was able to establish an industrial base as the nucleus of the Islamic state economy through the establishment of several industries such as textiles, pottery, blacksmithing, and others.

Keywords: Industry, crafts, the Prophetic Testament, blacksmithing, textile.

* المؤلف المرسل.

مقدّمة:

أرسل الله تعالى نبيه محمد ص للأمة وهم في حالة من الفوضى والفساد والجهل حتى كان يطلق على تلك المرحلة السابقة لمرحلة الإسلام بمرحلة الجاهلية جهل في كافة الأمور في الشؤون الدنيوية والدينية، حيث كان القوي يأكل الضعيف ويستعبده و كان السلب والنهب مفخرة لهم؛ فساد في النفوس، نتج عنه فساد اقتصادي واجتماعي ...

بذلك بُعث النبي "ص" في هذه الظروف والموارد الاقتصادية، **فكيف تعامل "ص" مع هذه الأوضاع الاقتصادية؟ وكيف استخدم الموارد المتوفرة لتطوير الصناعة في دولته؟ وكيف عمل على تنميتها والاستفادة منها لتطوير مجتمعه وتلبية حاجاته؟.**

لقد دعا الاسلام في البداية الى كسب المال بالجهد والعمل، وممارسة الصناعة واحتراف المهن، لقوله "ص": ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده" (ابن ماجة، 2009: ص269)، وحتى الآيات الكريمة تحثنا على ذلك ومنها قوله تعالى" **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ"(سورة هود، الأية37)**، وقوله تعالى:" **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ"(سورة سبأ، الآية13)** ، وقوله تعالى" **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ"**(سورة الأنبياء، الآية 129).

وتعامل النبي "ص" مع كل الموارد الاقتصادية باعتبارها نعما تستوجب شكر الله عزو جل، وكان قدوة عالية في تعامله مع الموارد البشرية والطبيعية وحتى الثروة المعدنية.حيث تبين لنا السيرة النبوية أن العمل أشرف وسائل الكسب مصداقا لقول الرسول"ص" :"ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داوود عليه السلام يأكل من عمل يده" (البخاري، 1422هـ: ص57).

وعن أنس"ر" أن أن رجلا من الأنصار أتى النبي ص يسأله، فقال له: ما في بيتك شيء، قال: بلى، حلس يلبس بعضه، ويبسط بعضه، وقعب يشرب فيه الماء، قال: آتني بهما، فأتاه بهما فأخذهما رسول "ص" وقال: من يشتري هذين؟ فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثا، فقال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين، فأعطاهما الأنصاري، وقال: اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوما، فأتني به، فأتاه به، فشد فيه رسول "ص" عودا بيده، ثم قال له: اذهب فاحتطب، وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوما، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء، وقد أصاب عشرة دراهم، فاشتري ببعضها ثوبا، وببعضها طعاما، فقال "ص": هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة، لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مُفظِع، أو لذي دم

موجع " (السجستاني، د ت: ص120)، ونستنتج من ذلك دعوة الرسول لأصحابه لممارسة المهن وعدم اللجوء الى المسألة أو الاتكال على غيره.

وروى البيهقي عن عائشة أن النبي "ص" قال:" إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"وفي رواية إن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل العمل أن يحسن" (البيهقي، 2003: ص335).

إن حث الرسول"ص" على العمل وعلى الاتقان فيه دلالة واضحة على فعالية هذا الاسلوب في القضاء على البطالة، والفقر وغرس مفهوم الانتاجية والاعتماد على النفس وتطوير الذات والوطن من خلال ممارسة مختلف المهن والصناعات.

وقد جاءت السنة النبوية الشريفة لتربي المسلم على روح العمل وتحثه على ممارسة الصنعة واتقانها فصورة المؤمن المتنسك العاجز صورة غير اسلامية وهي بعض رواسب تراث الكهانة التي سبقت الاسلام (الكيلاني، 1991: ص44)، والذي يهمنا من هذه المداخلة هو تفسير الإصلاحات الاقتصادية النبوية و الحلول الجذرية لتلك المشكلات ووضع حد لهذا التخلف الاقتصادي مقارنة بالأمم الأخرى وإبرازا لدور القيادة والقدوة من قبل الرسول "ص" فقد كان نموذج الانسان العامل المسلم الفاعل، فكانت حياته كلها عمل فكان لا يستنكف حتى عن أبسط الاعمال إذ كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته، فعن عائشة أم المؤمنين كان الرسول"ص"يعمل عمل البيت وكثيرا ما يعمل الخياطة (الكتاني، د ت: ص60).

1) أهم الصناعات على عهد النبي محمد"ص":تعتبر الصناعة من مصادر الملكية الخاصة لذا فقد حث الاسلام عليها ورغب فيها فلقد احترفها أنبياء الله ورسله فعن أبي هريرة "ر" أن رسول الله "ص" قال:"كان زكريا نجارا" (مسلم، 2007: ص2379)، قال النووي: هذا فيه جواز الصنائع وأن النجارة لا تسقط المروءة، وأنها صنعة فاضلة (الطريقي، 2009: ص53).

ويقول أبو حامد الغزالي:" فإن أصول الصناعات من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة، فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريض أنفسهم للهلاك" (الغزالي، د ت: ص16).

لهذا اهتم الرسول"ص" بالصناعة وشجع المسلمين عليها، والسيرة النبوية تزخر بالمواقف والأحداث التي تبين الجهود المبذولة في الميدان الصناعي لجعل الامة الاسلامية من أقوى الامم في هذا الميدان إيمانا من الرسول"ص" ومن خلاله الصحابة أن الامة التي تستهلك مالا تنتج لا خير منها، ومن أهم هذه الصناعات:

أ) **النجارة:** من جملة الحرف التي عرفت في المدينة حرفة النجارة (العسقلاني، 1910: ص16)، حيث كان النشاط الحرفي أو الصناعي بصفة عامة جيدا في المدينة ومؤديا مهمته لسد حاجات الناس واكتفائهم بل لا بد من قيام طبقة من العمال تقوم بصناعة محلية وبخاصة اذا توفرت المادة الخامة لها، كما أن هناك أعمالا لا يمكن جلبها من الخارج مثل النجارة والحياكة ونحت الحجارة وما يستلزم البناء من صناعة

(الشريف، 1985، الصفحات 398-399)، ومنها تلك الصناعات المعتمدة على انتاج النخيل، مثل صناعة القفاف والحصير ونحوها من الخوص والمكاتل (المقاطف) مما يستخدم في أعمال المنزل وفي أعمال الزراعة (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت: ص92)، ويلاحظ من خلال الروايات أن معظم من كانوا يجيدون النجارة هم من الموالي في الغالب (الكرمي، 2007: ص175).

أما عن صناعة الخوص، فقد كانوا يصنعون"القفاف"من الخوص والتي كان يوضع فيها الأمتعة والمحاصيل، كما تمت الاستفادة من ليف النخيل في صنع بعض أنواع الحبال (العمري، 1985: ص337)، ولها أهمية كبيرة نظرا لارتباطها بحاجات الناس في تلك الفترة، ومن أشهر الصحابة في عهد النبي ص الذي مارسها سلمان الفارسي"ر" (العسقلاني، 1910: ص403-405)، وكانت تتم صناعة الخُمرة من سعف النخيل، وهي كالحصير الصغير، وتظفر بالسيور بقدر الوجه والكفين، وهي أصغر من المصلى وكان النبي"ص" يصلي على الخُمرة (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت، ص128).

كما يصنعون الأبواب والنوافذ والأثاث، وقد أعان على قيام هذه الصناعة وجود شجر الطرفاء والأثل في شمال غرب المدينة (الشريف، 1985: ص399) وكانوا يصنعون الكراسي من الخشب وقوائمها من الحديد.

مما يدل على أن هذه الصناعات كانت منتشرة في زمن النبوة أن هناك خلاف في اسم من صنع المنبر لرسول الله"ص" (غنيمات، 2016: ص87)، حيث قيل صنعه غلام امرأة من الأنصار اسمه مينا، ويقال صنعه إبراهيم النجار والذي لقبه "باقوم" (ابن الأثير، 1863: ص43) مولى العاص بن أمية، ويقال صنعه ميمون النجار، وقيل صنعه صباح غلام العباس بن عبد المطلب"ر" وقيل غلام قبيصة المخزومي، وقيل غلام لسعد بن عبادة (التلمساني، 1995: ص737)، وقيل لعلهم كلهم اجتمعوا على صنعه (الكتاني، التراتيب الادارية: د ت، ص42)، ويتبين أن الممارسين لصناعة النجارة كانوا سبعة في المدينة المنورة وحدها وكان عدد آخر بمكة والطائف، وهذا يدل على الاهتمام الكبير بهذه الصناعة وانتشارها بين أصحاب النبي محمد "ص" (غنيمات، 2016: ص87).

ب)حرفة الصياغة: كما أن هناك صناعات قائمة على طرق وإذابة المعادن، لسبك الحلي وصنع الأسلحة، مثل القسي والرماح والسيوف ونحوها (الواقدي، 1947: ص63-64)، هناك صاغة بعض الأطراف الصناعية للإنسان، مثل الأنف كانوا يصنعونه من الفضة أو الذهب (عبد الله عبد العزيز، 1982: ص223).

ولم تحظ حرفة الصياغة باحترام كبير في المجتمع المدني، لأن الصائغ ربما كثر الكذب والفساد في صنعته، وكان يتعاطاها – في الغالب –أرذل الناس كاليهود (الواقدي، 1947: ص73)، حيث اشتهر بها بنو قينقاع الذين احترفوها ولم يحترفها أحد من العرب معهم (الشريف، 1985: ص399).

وكانوا يصنعون أنواعا كثيرة من الحلي من الذهب، منها الأساور والدمالج والخلاخيل والاقراطة والخواتيم والفتخ- جمع فتخة وهي الدبلة-والعقود من الذهب أو من الجوهر والزمرد أو من الجزع الظفاوي وهو خرز ثمين به ألوان بيضاء وسوداء وكانوا يبيعون هذه الحلي في سوق عرفت بهم، كان يأتيها النساء من أهل المدينة يشترين ما يلزمهن منها (الشريف، 1985: ص400).

وتذكر كتب السيرة أن النبي محمد "ص" طلب من كنانة بن الربيع وهو من يهود خيبر أن يظهر احد الكنوز التي خبأها من الذهب من أساور وخلاخل وغيرها، رغم إنكاره إلا أن الرسول" ص" أصر على ذلك فكان على حق (ابن هشام، 1963: ص388)، وهذا يدل على احتكار اليهود لهذه الصنعة.

ج) **الحدادة:** لقد افرد القرآن الكريم آيات عديدات يذكر فيها الحديد ويبين أهميته في الصناعة وغيرها منها قوله تعالى:" وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ"(سورة الحديد، الآية25).

وقوله :" وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ"(سورة سبأ، الآية10).

كان الحداد يحظى بشيء من الاعتبار، ولذلك فإن الرسول "ص" لم يستنكف من دفع ولده ابراهيم- حين احتاج الى مرضعة له- إلى أم سيف، زوج قين بالمدينة، يقال له أبو سيف وهو حداد من الانصار (ابن الأثير، 1863: ص38)، كان يزاول صنعته ببيته (العسقلاني، 1910: ص98)، وتذكر الروايات أنه أثناء حصار الطائف أعتق النبي "ص" روميا حدادا من رقيق أهل الطائف يدعى الازرق بن عقبة (الكرمي، 2007: ص176).

ولأن الحدادة قديمة نظرا لأنها تسد حاجات الانسان (العمري، 1985: ص313)، كانت لها أهمية كبيرة في عهد النبي محمد"ص" نظرا لارتباطها بمهنة الزراعة، لان المزارع يحتاج الى فؤوس ومحاريث ومساح ومناجل للحصد، وكانت هذه الالات تصنع في المدينة يقوم بصناعتها بعض الناس من العرب واليهود ومن الموالي على السواء، وان كانت الموالي والعبيد أكثر احترافا لها (الشريف، 1985: ص400).

ولكثرة الحروب والغزوات انتشرت صناعة الأسلحة وغيرها من مستلزمات الحروب وكانت السيوف مصدر فخر وثناء كبير، وكذلك الرماح والدروع وسرج الخيول ومستلزماته، أما يثرب فقد اشتهرت بصناعة التحف والاسلحة والدروع (خليل، 1988: ص33).

حيث كان يتولى مهنة الحدادة جملة من العبيد والموالي (العسقلاني، 1910: ص29) وكانوا يصنعون السيوف ويصقلونها (العسقلاني، 1910: ص413)، كما كانوا يصنعون الأسلحة والآلات الزراعية كالفؤوس والمحاريث والمساحي (الواقدي، 1947: ص376)، وقد كان يضرب بسهام يثرب المثل لجودة صنعها (عبد الله عبد العزيز، 1982: ص224).

كما اشتهرت الطائف بصناعة الجلود والحدادة (خليل، 1988: ص34)، كما كانت صناعة الأسلحة والدروع قائمة بالمدينة، يحترفها اليهود وقد روجوا لها ترويجا كبيرا حتى قالوا إنهم ورثواها عن داوود

عليه السلام (السمهودي، 1908: ص198)، وكانت السيوف والنبال تصنع بالمدينة، ونبال يثرب مشهورة، وكان من الصناع من يتخصص في جلاء الأسلحة وصقل السيوف (الشريف، 1985: ص401) وكانت هناك أدوات الصيد يصنعونها من فخاخ وشباك وأشراك من الحديد (الشريف، 1985: ص401).

هذا وقد كان النبي "ص" يعمل على نشر صناعة الحدادة بين المسلمين، ويحث المسلمين على تعلمها، نظرا لحاجة الناس الضرورية له (غنيمات، 2016: ص86)، حيث تروي كتب السيرة أن الرسول "ص" لما فتح خيبر سبي فيما سبي ثلاثين قينا، وكانوا صناعا وسماسر وحدادين، فقال النبي "ص" اتركوهم بين المسلمين ينتفعون بصناعتهم فتركوا لذلك، فمن تعلم عليهم الصناعة سمي صانعا أو معلما (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت: ص52)، إذ يلتحق الشخص الذي يريد أن يتعلم صنعة ليمارسها بأستاذ لك يتدرب على يديه من أجل إتقان الصنعة وتعلمها، ويطلق عليهم في هذه المرحلة "الصانع" (مسلم، 2007: ص168).

كما كان النبي"ص" يحث الصحابة على تعلم صناعة النبال والسهام، ففي حديث قال: إن الله يدخل الثلاثة بالسهم الواحد الجنة، صانعه يحتسب في صنعه الخير، والممد به، والرامي به" (ابن الأخوة، 1976: ص139)، فبذلك اشتهرت صناعة السيوف والخناجر وكان الصحابة يشحذون سيوفهم بالحجارة (الشامي، 1972: ص286).

كما حاولت الدولة الاسلامية في عهد الرسول"ص" استغلال بعض مناجم المعادن الموجودة في الجزيرة العربية، فقد أقطع النبي "ص" بلالا بن الحارث المزني معادن قبيلته، وهي من أعمال الفرع بالمدينة، وكتب له بذلك كتابا (ابن سلام، 1968: ص398)، وهناك إشارة توضح أن النبي "ص" أقطع معدن"الأحسن"قرب المدينة، و "بحران" بعض القبائل من أجل استغلالها وإفادة الدولة منها (الكرمي، 2007: ص178).

وكان هدف الرسول "ص" من خلال توجيهاته وتشجيعه للصناعة، أن تصل الامة إلى درجة من الاكتفاء الذاتي لاسيما في الصناعات الاستراتيجية للدولة كالأسلحة وغيرها.

د) صناعة الأواني: هناك صناع يصنعون آنيات المنازل وأدواتها من نحاس وفخار للأكل والشرب وما الى ذلك من مصنوعات هي مستعملات الناس وحاجاتهم اليوم (الشريف، 1985: ص401)، وقد ورد في المصادر التاريخية اسم الصحابي الجليل أبو رافع مولى رسول"ص" بقوله:"كنت رجلا ضعيفا أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم، وكنت أجلس فيها أنحت أقداحي" (التلمساني، 1995: ص725).

وكان للنبي "ص" قدحا يسمى"الريان" من الحجارة، يضع فيه الحناء والكتم، ويضعها على رأسه عندما يكون الجو حارا (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت: ص142)، وكانت هناك أقداحا للشرب، حيث ورد في صحيح مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب قالا حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال لقد سقيت رسول الله ص بقدحي هذا الشراب كله (مسلم، 2007: ص156).

هـ) النسيج والدباغة: انتشرت كذلك خلال العهد النبوي حرفة الخياطة والدباغة (مالك، 1951: ص498)، حيث مارست النساء صناعة الغزل والنسيج ففيما يروى أن نساء المسلمين كن لا يتركن المغزل حتى يخرجن في الحروب، وحتى الامام البخاري(ت808هـ) وضع بابا في صحيحه سماه"باب ذكر الخياط" (البخاري ا، د ت: ص79)، وذكر حديثا جاء فيه: أن خياطا دعا الرسول"ص" لطعام صنعه، فقال أنس بن مالك(ت91هـ) فذهبت مع رسول الله "ص" إلى ذلك الطعام ويبدو أن استجابة النبي "ص"كانت ضرورية لإزالة الاحتقار لمثل هذه المهنة (الكرمي، 2007: ص178).

كما عرفت المدينة صناعة النسيج، إلا أنها كانت تمارس على نطاق ضيق وكان يقوم بها بعض النساء في البيوت (ابن سعد، 1968: ص454)، وذكر أنه لم يكن في المدينة حائك، بل كان يقدم عليها بالأقمشة والثياب من اليمن والشام وغيرها، منسوجة فيشترونها ويلبسونها (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت: ص59).

وعن سعد بن سهل :"عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء المغزل" وعن عائشة"ر" قالت:"كان صلى الله عيه وسلم يعمل عمل البيت، وكثيرا ما يعمل الخياطة" (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت: ص60).

وقيل أن امرأة جاءت ببردة فقالت: يارسول الله "ص" نسجت هذه بيدي أكسوكها؟ فأخذها النبي "ص"وفقال رجل من القوم: يا رسول الله "ص" أكسينيها، فقال: نعم، فطواها "ص" ثم ارسلها اليه (التلمساني، 1995: ص720)، وطلب النبي "ص" أن تصنع له غيرها، وقد مات قبل أن تفرغ المرأة منها (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت: ص42).

إضافة الى صناعة الحبال من الصوف والجلود، أو بعض الاشجار والنباتات"المسد"، كما تصنع أيضا الخيم والبُسط (العمري، 1985: ص334).

والدباغة من الأمور التي حض عليها النبي "ص" فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:"تصدق على مولاة لميمونة بشاة فماتت فمر بها رسول الله "ص"، فقال: هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به، قالوا: "إنها ميتة، قال إنما حرم أكلها" (الترمذي، 1996: ص100).

كما أوردت كتب السيرة والتراجم أن أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب "ر" كانت قد دبغت أربعين منا عندما دخل عليها رسول الله "ص"، ليخبرها بمقتل زوجها وأصحابه (العمري، 1985: ص281)، كذلك كانت أم المؤمنين سودة بنت زمعة "ر" تعمل الأديم الطائفي، الذي اشتهرت به مدينة الطائف (ابن هشام، 1963: ص41).

ومن المواد الاولية المتوفرة التي تخدم الدباغة شجر القراظ وهو الذي يستخدم بقشوره للدباغة (التلمساني، 1995: ص117)، مما ساهم في رواج هذه الصناعة بين الصحابة في عهد النبي"ص"، كما

كان الصوف متوفر بكثرة نظرا لوفرة الثروة الحيوانية في المنطقة (العمري، 1985: ص332)، اضافة الى رواج تجارة الثياب والقماش والتي يطلق على محترفها بالبزاز (غنيمات، 2016: ص89).

كما أن هناك صناعة تعتبر من مشتقات الدباغة وهي صناعة الخرازة، المتمثلة في تشكيل بعض المتعلقات من الجلود بعد دبغها، كما كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش"ر" تدبغ الجلود وتخرزها، هذا إلى جانب أنهم كانوا يفتلون الحبال من الصوف والليف (ابن سعد، 1968: ص491).

وإذا كانت بعض هذه المستلزمات قد جلبت من الخارج مصنوعة إلا أنه ليس من المعقول أن يجلب الناس كل ما يحتاجونه وأن يعيشوا عالة على العالم الخارجي، خاصة وأن الرسول "ص" بين أظهرهم.

فقد كانت وسادة الرسول"ص" من الجلد حشوها ليف، وكان أبو الدرداء صاحب وسادة رسول الله"ص" (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت: ص97)، كما كان نعل الرسول"ص" مصنوع من الجلد المدبوغ، كما كانت تصنع من الجلود "القرب" التي تملأ ماء وتنقل من مكان لأخر، أو يحفظ فيها السمن أو الغرس (العمري، 1985: ص329).

و) حرفة البناء وصناعة الطوب: اشتهرت يثرب قبل الاسلام بزراعتها وصناعتها، وبعد الهجرة قامت حركة عمرانية واسعة، ولعل أولى أمور الصناعة التي اهتم بها المسلمون"صناعة البناء" إذ احتاج المهاجرون إلى مساكن يسكنونها في المدينة، فخط لهم النبي "ص" الخطط، وحدد لهم الأماكن التي يبنون عليها (البَلَاذُري، د ت: ص270).

قام الرسول"ص" ببناء حجرات زوجاته، وذلك من اللبن وسُقفت بجريد النخل وعلى الجريد شيء من الطين، وتشير المصادر إلى مجموعة من الأبنية أسست بعد الهجرة منها المسجد النبوي الشريف (الشامي، 1972: ص506).

وحرفة البناء تقوم على اتقان عجن الطين، وضرب اللبن أو الطوب (السمهودي، 1908: ص333)، إضافة الى البراعة في التخطيط، ومعرفة القواعد الصحيحة لجعل الأساس وصف الطوب (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت:ص75)، وكان جميع الصحابة يشارك في البناء بتشجيع من الرسول"ص" فعن أبي هريرة"ر" قال: "كان صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا منه أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكانا من طين يجلس عليه ونجلس بجانبه (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت: ص54).

ونظرا لظهور المدينة المنورة كنموذج جديد، تطور العمران الاسلامي وتحسن فكان الرسول"ص" يختار من له خبرة في البناء وبراعة في التصميم، لذلك استدعى قيس بن طلق الذي يحسن البناء فوكله ببناء المسجد (التلمساني، 1995: ص735).

إضافة الى بعض الصناعات التي تسمى اليوم **بالغذائية** كصناعة الخمر قبل الاسلام من التمر والبسر وكانوا يسمونها الفضيخ.

2) بعض الصناع الذين عاصروا الرسول"ر":لم تتركز حياة الصحابة الكرام على عهد النبي "ر" على العبادة فقط بل شملت أيضا متطلبات الحياة اليومية اللازمة للمعيشة وتلبية حاجات المجتمع آنذاك، واحتلت حرفة الصناعة المرتبة الأولى في حياتهم، فاحترف العديد منهم "ر" مهن عديدة فكان منهم من يعمل بالنسيج والخياطة ونحت الأقداح والحدادة ودباغة الجلود وصناعة القفاف وغيرها (غنيمات، 2016: ص73).

وعن ابن عباس"ر" قال:"كان رسول الله ص إذا نظر إلى الرجل فأعجبه قال: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا قال: سقط من عيني، قيل :وكيف ذلك يارسول الله؟ قال:" لأن المؤمن اذا لم يكن ذا حرفة تعيش بدينه" (البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، 1996: ص56).

ومن أشهر الحدادين من الصحابة "ر" أبو سيف القين(الحداد) وهو البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن النجار، وهو أخو إبراهيم بن النبي"ص" من الرضاعة، لأن أمه أم بردة أرضعته بحليبها (التلمساني، 1995: ص84).

ومنهم كذلك الأزرق بن عقبة الثقفي مولى الحارث بن كندة، وكان حداد مشهورا (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت: ص52)، وكذلك مرزوق الصيقل، الذي صقل سيف رسول الله "ص" ذا الفقار (العسقلاني، 1910: ص118).

إضافة الى الصحابي الجليل خباب بن الأرت "**ص**"وكان من السباقيين الأولين الى الإسلام وشهد المشاهد كلها مع رسول الله "ص" مات بالكوفة سنة 37 هـ/ 659م وكان يعمل السيوف بالجاهلية (جواد، 2001: ص96)، حيث قال: "كنت قينا في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث، قال: دعني حتى أموت فسأوتي مالا وولدا فأقضيك" (البخاري ا، د ت).

كما برز بعض الصحابة في صناعة الرماح مثل نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القريشي الهاشمي، ابن عم رسول الله"ص"، مات في خلافة عمر بن الخطاب"ر" بالمدينة، ولما أسر نوفل يوم بدر قال له النبي "ص" : أفد نفسك برماحك التي بجدة، فقال: والله ما علم أحد أن لي بجدة رماحا بعد الله غيري، أشهد أنك رسول الله، ففدى نفسه بها وكانت ألف رمح (العسقلاني، 1910: ص86).

ومن أشهر النجاريين من الصحابة "ر" عروة بن مسعود، وغيلان بن سلمة، حيث لم يحضرا حصار النبي "ص" للطائف لأنهما كانا بجرش يتعلمان صنعة العرادات والمنجنيق والدبابات، وعندما قدما كان النبي "ص" قد انصرف عن الطائف (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت: ص299)، ومن الحرف الملحقة بالنجارة أيضا حرفة بري النبال خاصة المصنوعة من الاخشاب، فقد كان سعد بن أبي وقاص "ر" يبري النبال (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت: ص106).

كما نستنتج من دراسة السيرة النبوية بروز بعض الصحابة في مجال الدباغة ومنهم أبي وداعة الحارث بن صبيرة بن سعد بن تهم أسلم يوم الفتح هو وابنه (العمري، 1985: ص326)، وسعد بن عائذ المؤذن، مولى عمار بن ياسر، ويعرف بسعد القرضي والقرض شجر يدبغ به، أو قشر لشجر يدبغ به (العسقلاني، 1910: ص273).

وبرز بعض الصحابة في ميدان النسيج منهم طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب القريشي التميمي، أحد العشرة المبشرين بالجنة (العسقلاني، 1910: ص417)، وسويد بن قيس العبدي أبو مرحب، وروى أن النبي "ص" اشترى منه رجلي سراويل (العسقلاني، 1910: ص544)، وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين، وهو نساجة تنسج من الصوف والحرير (الكتاني، التراتيب الادارية، د ت: ص43).

وممن كان خياطا أيضا عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزي العبدري، صاحب البيت اسلم في صلح الحديبية، وشهد الفتح مع النبي "ص" فأعطاه مفتاح الكعبة، مات سنة 42 هـ (غنيمات، 2016: ص90).

وهذا يؤكد بأن الرسول "ص" والصحابة كانوا لا يؤخرون جهدا في تعلم كل ما من شأنه رفع الاسلام وأهله وتطوير اقتصاد الدولة الاسلامية حتى لا تحتاج الى الدول الاخرى و كذلك تحقق الاكتفاء الذاتي.

ومما سبق يتضح أن المدينة أو مكة كانت ذات فعالية كبيرة في مجال الصناعة والعمل، بتضافر جهود جميع سكانها وبتوجيه وتشجيع من الرسول "ص".

3) أهمية الصناعة في مجتمع الرسول "ص" ومن خلالها مجتمع اليوم:

عن ابن عمر ر أن رسول الله ص قال:"إن الله يحب المؤمن المحترف" (البغدادي، 1995: ص28)، وجاء عن ابن عباس "ص" عنهما قال:"سمعت رسول الله "ص" يقول:"من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له" (الهيثمي، 1994: ص63).

فتلك النصوص السابقة حثت على الصناعة والاحتراف، ورغبت فيهما، قال الماوردي: أصول المكاسب الزراعية والتجارة والصنعة"ولقد روى البخاري أن أصحاب رسول الله ص عمال أنفسهم، أي أنهم أهل حرفة وعمل" (الطريقي، 2009: ص54).

والنبي "ص" وهو القدوة العليا كان نموذجا بشريا فريدا في كل شيء، وفي المجال الاقتصادي بشكل خاص، حيث وردت في كتب السيرة النبوية المطهرة أن النبي ص كان ينظف بيته ويخصف نعله ويخيط ثيابه، وما رؤي فارغا في بيته، بل كان دائما في حاجة أهله، روى هشام بن عروة عن أبيه قلت لعائشة ما كان رسول الله ص يصنع في بيته قالت يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم (العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 1959: ص461)، وانطلق الرسول"ص" في اهتمامه بالصناعة من

اهتمامه بمنزله وأسرته مما جعله يشجع الصناعات الغذائية والمنزلية كصناعة الاواني والقدور (العمري، 1985: ص315).

نظرا لمكانة الصناعة في بناء المجتمعات وتطورها قديما وحديثا أولى لها الرسول"ص" أهمية بالغة وهذا لسد حاجات مجتمعه دون اللجوء الى الاستيراد.

كما ارتبط الاقتصاد الاسلامي في عهد النبي"ص" بالصناعة نظرا لعلاقتها ببقية النشاطات الاقتصادية الأخرى كالزراعة والتجارة، حيث عمل الصناع من الصحابة على توفير حاجات المزارعين كالفأس والمكشط والمحراث وغيرها من الادوات (غنيمات، 2016: ص95)، دون أن ننسى ما توفره من أدواة البناء والحفر.

والناظر الى أساس قوة الدول المتطورة اليوم وهو قوة السلاح والعتاد، فقد ادرك الرسول"ص" ذلك بفطنته البشرية وبتأييد من الوحي فشجع صناعة الاسلحة من أجل مواجهة خطر قريش وتحالفها من القبائل، فتطورت صناعة السيوف والسكاكين والدروع والمغافر، والسهام وكل الاسلحة المختلفة في تلك الفترة من السيرة النبوية، مما جعل جيش النبي ص في تلك الفترة من أفضل الجيوش وأقواها، ساعده في انشاء دولته الفتية وتثبيت أركانها، وتذكر الكتب أن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أعان رسول الله "ص" يوم حنين بثلاثة آلاف رمح، فقال له الرسول"ص" "كأني أنظر إلى رماحك يا أبا الحارث تعصف أصلاب المشركين" (التلمساني، 1995: ص709).

دون أن ننسى أن أول دبابة صنعت في الاسلام صنعت في حصار الرسول"ص" للطائف، حيث أرسل الرسول "ص" اثنين من الصحابة الى جرش لكي يتعلموا صناعة الدبابات، وبالفعل استطاعوا صناعتها.

وهي بيت صغير يعمل من جلود الابل والبقر تهدم الحصون، وهي تمشي على عجلات من خشب، يدخلها الرجال فيثقبون السور ويكون سقفها حرزا لهم من الرمي (التلمساني، 1995: ص493)، كما استعملوا المنجنيق وكلها أسلحة حديثة في المنطقة اقتبس صناعتها عن الامم الحربية المجاوة العريقة في القتال كالروم والفرس، وهذا يبين لنا ضرورة التطور والاحتكاك بالشعوب وأخذ ما ينفع الامة في جميع المجالات حتى لا تبقى الامة الاسلامية في مؤخرة الركب الصناعي.

كما ساهمت صناعة مواد البناء في إخراج مجتمع المدينة ومجتمع رسول الله "ص" من البداوة إلى التحضر من خلال التخلي عن الخيم والتركيز على بناء مساكن ثابتة وبناء مساجد من الطوب كمسجد قباء والمسجد النبوي واستعان النبي ص بأمهر البنائين، مما يبين لنا أن الاهتمام بالبناء جزء من الحضارة.

الخاتمة :– من خلال ما تقدم نرى أنه ليس لنا سبيل للتطور والتقدم الاقتصادي إلا بالرجوع إلى السنة المطهرة و منهجه عليه الصلاة و السلام من خلال تطبيق أحاديثه صلى الله عليه و سلم في المجال الاقتصادي، والاهتمام بمختلف أنواع الصناعات.

– إن المسلمين في عهد الرسول"ص" لم يهتموا بالصناعة اهتماما كبيرا لاعتمادهم بالدرجة الأولى على التجارة، وتربية المواشي، إلا أن الرسول"ص" شجع مختلف الصناع وحفزهم لمواكبة التطور وتوفير حاجات مجتمعه دون الاعتماد على الامم الاخرى.

– النظام الاقتصادي الاسلامي كان رائعا في عهد النبي "ص" حيث مثل النموذج القدوة، مما يجعلنا نتحفز لمواصلة التصنيع وتطوير اقتصاد دولنا، وتطبيق للمنهج النبوي يجب أن يكون تطبيقاً عملياً علمياً مواكب للمستحدثات و ما يجد علينا.

– ان الصحابة الكرام بأعمالهم الحرفية والصناعية وابداعاتهم المختلفة قدموا لنا دروسا ورسالة للجيل الحالي بعبادة الله تعالى، حق العبادة واتمام ذلك بالعمل والواجب (غنيمات، 2016: ص100) وتطوير اقتصاد دولنا اقتداء بسيرة الرسول"ص".

– إن النبي "ص" حث على العمل المتقن وذلك حفاظاً على الوقت و الجهد و يخفف من التكاليف و يساعد في تحقيق الجودة في النوع و الكم، وهو ما نجده في صناعات وصناع العهد النبوي "ص"، وغائب عن صناع وقتنا الحالي.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن إدريس عبد الله عبد العزيز. (1982). مجتمع المدينة في عهد الرسول ص 1- 11هـ/622-633م (ط1). الرياض، السعودية: مطابع جامعة الملك سعود.

2- ابن حجر العسقلاني. (1910). الاصابة في تمييز الصحابة. القاهرة، مصر: مطبعة السعادة.

3- ابن حجر العسقلاني. (1959). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. بيروت، لبنان: دار المعرفة.

4- أبو الحسن علي بن محمد التلمساني. (1995). تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد النبي ص من الحرف والصناعات والعمالات البشرية (ط1). القاهرة، مصر: القاهرة.

5- الخطيب البغدادي. (1995). الحث على التجارة والصناعة والعمل الحلال. حلب، سوريا: المطبوعات الإسلامية.

6- أبو حامد الغزالي. (د ت). إحياء علوم الدين. القاهرة، مصر: دار احياء الكتب العربية.

7- أبو داود السجستاني. (د ت). السنن. صيدا، لبنان: المكتبة العصرية.

8- أبو عبد الله محمد ابن سعد. (1968). الطبقات الكبرى. بيروت، لبنان: دار صادر.

9- أبو عبد الله محمد ابن ماجة. (2009). سنن ابن ماجة (ط1). بيروت: دار الرسالة العالمية.

10- أبو عبيد القاسم ابن سلام. (1968). الأموال. (ط1). القاهرة، مصر: مكتبة الكليات الازهرية.

11- أبو عيسى محمد الترمذي. (1996). الجامع الكبير. بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي.

12- أحمد إبراهيم الشريف. (1985). مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.

13- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري. (د ت). أنساب الاشراف. القاهرة، مصر: مكتبة المعارف،.

الامام البخاري. (د ت). الصحيح. القاهرة، مصر: القاهرة.

14- البغدادي, أ .ب .(1996) .الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع .بيروت ,لبنان :مؤسسة الرسالة.

15- البيهقي, أ .ب .(2003) .شعب الايمان .الرياض, السعودية :مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

16- الحافظ الهيثمي. (1994). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. القاهرة، مصر: مكتبة القدسي.

17- الصالحي الشامي. (1972). سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. القاهرة، مصر: القاهرة.

18- الكتاني, م .ع.(د ت) .التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على تأسيس المدينة الاسلامية في المدينة المنورة العلية،ج2، ط2، د ت، بيروت :دار الأرقم.

19- الكيلاني, م .ع .(1991) .مقومات الشخصية المسلمة، أو الانسان الصالح .قطر :دار الكتب القطرية.

20- بن أنس مالك. (1951). الموطأ. القاهرة، مصر: القاهرة.

21- حافظ أحمد عجاج الكرمي. (2007). الادارة في عصر الرسول ص دراسة تاريخية للنظم الادارية في الدولة الاسلامية الاولى. (ط1). القاهرة: دار السلام للطباعة.

22- عبد العزيز العمري. (1985). الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم. السعودية: طبع على نفقة المؤلف.

23- عبد الله بن عبد المحسن الطريقي. (2009). الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف (المجلد ط11). الرياض: مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان.

24- عبد الملك ابن هشام. (1963). السيرة. القاهرة، مصر: مطبعة حجازي.

25- عزالدين ابن الأثير. (1863). أسد الغابة في معرفة الصحابة. القاهرة، مصر: المطبعة الوهبية.

26- علي جواد. (2001). المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (ط4). بيروت: دار الساقي.

27- محسن خليل. (1988). الاقتصاد الاسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. بغداد، العراق: دار الكتب العربية.

28- محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري. (1422هـ). صحيح البخاري. بيروت، لبنان: دار طوق النجاة.

29- محمد بن عمر الواقدي. (1947). مغزي رسول الله. القاهرة، مصر: مطبعة السعادة.

30- محمد بن محمد ابن الأخوة. (1976). معالم القربة في أحكام الحسبة. بغداد، العراق: دار المثنى.

31- محمد عبد الحي الكتاني. (د ت). التراتيب الادارية (ط2). بيروت، لبنان: دار الأرقم.

32- مسلم, ب .ا .(2007) .صحيح مسلم في فضائل زكريا عليه السلام .بيروت :دار طيبة.

33- نورالدين علي بن جمال السمهودي. (1908). وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى. القاهرة، مصر: مطبعة الآداب والمؤيد.

المجلات:

قاسم محمد غنيمات. (31 ديسمبر، 2016). الصناع من الصحابة على عهد النبي ص . *مجلة المجلة*، 30،(4)، الصفحات 73-98.